

إسهامات أسرة آل ابن فرحون في الحركة العلمية بالمدينة المنورة

Intervention title Contributions of the family of Ibn Farhoun in the scientific movement in Medina

ط.د. عزالدين طالب

جامعة غرداية (الجزائر)، Talbe.azzeddine@univ-ghardaia.dz

تاريخ الإرسال: 2023 /02/24 تاريخ القبول: 2023 /03/28 تاريخ النشر: 2023/06/10

الملخص:

شهدت بلاد الحجاز خلال العصر الوسيط، حركة علمية زاخرة، ساهم في ازدهارها ثلة من العلماء الأجلاء، كان لهم فيها الأثر الجلي، كما برزت أسر علمية في كل من مكة والمدينة المنورة، وكان لهم الأثر الفعال في الرياسة والقضاء والافتاء ومجالس العلم وغير ذلك، ومن تلك الأسر بالمدينة المنورة، (آل ابن فرحون المالكية)، التي تقلدت مناصب في الإفتاء والقضاء والتدريس بالمدينة المنورة، الأمر الذي أسهم إسهاما كبيرا في نشر المذهب المالكي خاصة، وفي نشاط الحركة العلمية عامة.

وفي هذه المداخلة سنتطرق إلى نسب هذه الأسرة، وإلى ترجمة أبرز علمائها الذين أسهموا في الحركة العلمية بالمدينة المنورة، وأين تجلت إسهامات كل واحد منهم.

الكلمات المفتاحية: إسهامات؛ أسرة؛ آل ابن فرحون؛ الحركة العلمية؛ المدينة المنورة.

Abstract:

During the Middle Ages, the country of Hijaz witnessed a thriving scientific movement. a group of eminent scholars contributed to its prosperity, they had an obvious impact. Scientific families also emerged in both Makkah and Madinah.

And they had an effective impact in the presidency, the judiciary, issuing fatwas, knowledge councils, and so on.

And from those families in Medina, (Al Ibn Farhoun Al-Malikiyah family), who held positions in the fatwa, judiciary and teaching in Medina, which contributed significantly to the dissemination of the Maliki school of thought in particular and in the activity of the scientific movement in general.

In this intervention, we will discuss the lineage of this family.

And to translate the most prominent scholars who contributed to the scientific movement in Medina and where the contributions of each one of them were manifested.

Keywords: contributions; family; Ibn Farhoun family; the scientific movement; Medina.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين
ومن سار على نهجهم إلى يوم الدين أما بعد:

فقد شهدت بلاد الحجاز خلال العصر الوسيط حركة علمية مزدهرة، يرجع الفضل فيها بعد
الله سبحانه وتعالى إلى ثلة من العلماء الربانيين الراسخين في العلم، إلى جانب بروز أسر علمية في
كل من مكة والمدينة المنورة، هذه الأسر كان لها الريادة العلمية والمكانة الاجتماعية، التي مكنتها
من تولي القضاء والحسبة والتصدر للخطابة والإمامة، فأقاموا العدل بين الناس بقضائهم، وأضاءوا
أفهامهم بعلمهم، وخزائن المكتبات بتأليفهم.

ومن أبرز هذه الأسر التي كان لها الأثر الفعال في المساهمة العلمية في بلاد الحجاز عموماً وفي المدينة المنورة خصوصاً، أسرة "آل بن فرحون"، الذين كان لهم حظوة علمية واجتماعية ووظيفية، مكنتهم من التصدر للتدريس والافتاء، وتولي القضاء والحسبة بداية من القرن السابع إلى التاسع، وفيهم قال السخاوي: "بيت رياسة وقضاء وعلم"¹.

وعليه فإنه لما كان حضور هذه الأسرة المالكية بارزاً في مساهمته في الحكمة العلمية في المدينة المنورة، ارتأيت أن أتطرق في هذه المداخلات إلى نسب هذه الأسرة، وإلى ترجمة أبرز علمائها الذين أسهموا في الحركة العلمية بالمدينة المنورة، وبيان إسهامات كل واحد منهم.

جاءت هذه المداخلات موسومة بـ: "إسهامات أسرة آل ابن فرحون في الحركة العلمية بالمدينة المنورة"، تطرقت فيها إلى ما يأتي:

أولاً: نسب أسرة (آل بن فرحون).

ثانياً: تراجم علماء أسرة (آل ابن فرحون) وإسهاماتهم في الحركة العلمية.

خلاصة: وفيها أبرز إسهامات أسرة "آل بن فرحون".

أولاً: نسب أسرة (آل بن فرحون)

تعد أسرة (آل ابن فرحون) ككافة الأسر العلمية التي تنتمي إلى أصول اجتماعية من خارج الجزيرة العربية، وذات انتماء مذهبي مالكي، قدمت المدينة ابتداء من القرن السابع الهجري واستمر وصولها حتى النصف الثاني من القرن التاسع الهجري.

ويطلق على أسرة آل ابن فرحون (اليعمريون) باعتبار النسب العريق الذي تنتمي إليه هذه الأسرة الفاضلة، فيقال في النسبة (اليعمري) بفتح الياء وسكون العين وفتح الميم وبعدها راء، هذه النسبة إلى يعمر وهو بطن من كنانة،² وينسب إليه معدان بن أبي طلحة ويقال طلحة اليعمري، يروي عن أبي الدرداء وثوبان رضي الله عنهما، روى عنه سالم بن أبي الجعد، وأهل الشام.³

قدمت هذه الأسرة من تونس، وتنسب إلى أبي عبد الله محمد بن الفضل أبي القاسم فرحون بن محمد اليعمري الأبدى الجياني التونسي، الذي ولد في تونس ونشأ بها، واشتغل بالعلم على شيوخ بلده، وبرع في الفقه والأصول والعربية وشارك في علوم عديدة، ثم استوطن المدينة قبل سنة (692هـ/1292م)، وتزوج بها فرزق خمسة ذكور، وشارك مشاركة فعالة في الحركة العلمية في المدينة المنورة عموماً، وفي نشر المذهب المالكي خصوصاً؛ وقد خلفه بعد وفاته أولاده وأحفاده وأبناء أحفاده، فأتموا مسيرته وزادوا.

إضافة إلى ذلك أنجبت هذه الأسرة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين علماء وقضاة آخرين، ساهموا في الحركة العلمية بالمدينة المنورة، وفي نشر المذهب المالكي بها.⁴

فأسرة ابن فرحون من الأسر العلمية المشهورة بالمدينة، التي كان لها مكانة اجتماعية ووظيفية، ساعدتها في إثبات وجودها ومساهمتها في الحركة العلمية بالمدينة المنورة.

وسنورد فيما يأتي تراجم أبرز علماء هذه الأسرة، وكيف كانت مساهمتهم في الحركة العلمية في المدينة المنورة.

ثانياً: تراجم علماء أسرة (آل ابن فرحون) وإسهاماتهم في الحركة العلمية

1. محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون أبو عبد الله اليعمري الأبدى الجياني التونسي المدني.

" هو أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري، الأبدى المحتد ثم الجياني،⁵ التونسي المولد والمنشأ، واليعمري نسبة إلى يعمر⁶،⁷ المدني المالكي، الملقب بالشمس، المعروف بابن فرحون.⁸

وهو بمثابة المؤسس الأول لهذه الأسرة التي امتد عطاؤها العلمي، لأبنائه وأحفاده، فساهمت مساهمة كبيرة في ازدهار الحركة العلمية بالمدينة المنورة، وفي انتشار الفقه المالكي خاصة.

اشتغل رحمه الله بالعلم على شيوخ بلده وبرع في الفقه والأصول والعربية، وشارك في علوم عديدة، وسمع الحديث على الحافظ جمال الدين أبي بكر محمد بن يوسف بن مسدي، وصحب الشيخ أبا محمد المرجاني، وخرج في صحبته للحج من تونس، فلما وصل إلى مكة لحقه مرض فقال له الشيخ أبو محمد: هذا إشارة إلى الإقامة فأقام بها ... ولما حج رجع إلى تونس فوجد المرجاني قد انتقل إلى رحمة الله، فحمل ما له من الكتب، وهي كثيرة جليلة وجلها أو كلها بخطه وبعضها بخط أبيه، فلما وصل الاسكندرية باعها حتى لم يبق معه إلا ما هو محتاج إليه.

ثم قدم المدينة فسكن المدرسة الشهابية⁹ منها، ونيته ألا يشتغل بغير نفسه ولا يتعرف بأحد من أبناء جنسه، فألزمه بحضور الدرس لأجل المسكن ففعل، فاشتهر علمه وفضيلته وتفننه في علوم عديدة، فعظم عند الجماعة وأحبه ولزموه واشتغلوا عليه في الفقه والعربية، وجماعة في علم الهيئة، فأبان عن فضيلة تامة وكثر المشتغل عليه في علم الميقات بحيث انقطع وقته مع المشتغلين به.¹⁰

فبراعة الشيخ رحمه الله في الفقه، والأصول، والعربية، وفي علم الميقات خاصة، وغير ذلك من العلوم، وتفرغه التام للتدريس، ساهم مساهمة كبيرة في الحركة العلمية، وفي نشر المذهب المالكي في المدينة المنورة، فقد وصفه رفيقه أبو جعفر بالشيخ العالم الصالح الورع المدرس، وقرأ عليه كل من ولديه الفقه والعربية وسمعا عليه الحديث، وذكره الشيخ الشمس محمد بن صالح في تاريخه ووصفه: بالشيخ الفقيه الصالح وأنه كان مدرسا للمالكية فاضلا ساكنا... ووصف بالفقيه الصالح نزيل المدينة أبو عبد الله بن فرحون المالكي.¹¹

والمساهمة الكبيرة التي ساهم بها الشيخ لإنعاش الحركة العلمية في المدينة، والتي كانت لها أثر في حياته وبعد مماته، هي توريثه العلم لأبنائه، وتواصل ذلك في أحفاده، وسيأتي معنا تراجم أبرز من ساهم منهم في الحركة العلمية بالمدينة المنورة.

كانت وفاته رحمه الله يوم الخميس الرابع وعشرين من شهر ربيع وسبعمئة (721هـ)، جدد الله عليه الرحمة.¹²

2. عبد الله بن محمد ابن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون بدر الدين أبو محمد اليعمري المدني التونسي (ت769هـ).

هو عبد الله بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي الأصل المدني المولد والمنشأ بدر الدين أبو محمد المالكي.¹³

قرأ القرآن على الشيخ أبي عبد الله القصري المقرئ، وروى عنه وسمع الحديث بالمدينة على والده وعلى أبي عبد الله محمد بن حريث البلنسي ثم السبتي خطيب سبته وفقهها وعلى الشيخ عز الدين يوسف الزرندي ... وسمع بمكة من الشيخ رضي الدين الطبري وغير هؤلاء.

أخذ علم الفقه والعربية عن والده كان من أكابر الأئمة الأعلام ومصايح الظلام، عالماً بالفقه والتفسير وفقه الحديث ومعانيه، قال عنه الشيخ أثير الدين أبو حيان: ما ظننت أنه يوجد بالحجاز مثل هذا الرجل.

وكانت مشاركته في أصول الدين مشاركة حسنة، وحدث ودرس وأفاد، وإليه انتهت الرياسة بالمدينة النبوية، أقام مدرساً للطائفة المالكية ومتصدراً للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة، وانفرد في آخر عمره بعلو الإسناد فلم يكن في المدينة أعلى سناً وسنداً منه، وكان صبوراً على السماع والأشغال، وكان كهفياً لأهل السنة يذب عنهم ويناضل الأمراء والأشراف، وانتهى به ذلك إلى أن امتحن ورسد في السجن في طريق الحرم فطعن طعنة عظيمة أريد بها قتله فصرف الله عنه شرها وعافاه منها.

وكان عليه مدار أمور الناس بالمدينة النبوية، وناب في القضاء نحو أربعة وعشرين سنة، وأم في الحراب النبوي في بعض الصلوات، ودعي إلى أن يقوم بالخطابة والإمامة نائباً فامتنع إعظاماً للمقام النبوي.

وكان ممن جمع الله تعالى له العلم والعمل والدنيا والدين، فكان أعظم أهل المدينة يساراً وأكثرهم عقاراً وأوسعهم جاهاً وأنفذهم كلمة وأعظمهم حرمة وألينهم عريكة وأحسنهم بشاشة، صبوراً على

الأذى يجزي بالحسنة السيئة ويسع الناس بخلقه ويواسي الفقراء بمعرفه ويصل أعداءه ببره ويحفظ من مات منهم في ذريته.

وبهيمته وسياسته أزال الله تعالى به أحكام الطائفة الإمامية من المدينة المنورة، فعزلت قضاتهم وانكسرت شوكتهم وخمدت نارهم، وذلك أنه لما باشر الأحكام نيابة عن القاضي تقي الدين الهوريني في سنة ست وأربعين وسبعمائة (746هـ) سعى في عزل قضاتهم فنودي في شوارع المدينة بتبديل أحكامهم والإعراض عن حكاهم فكان ذلك أول أسباب قوة أهل السنة وعلو أمرهم وكم له من حسنات في تمهيد إعزاز السنة وإخماد البدعة نفعه الله بنيته وتغمده برحمته.

وله تأليف عديدة في أنواع شتى منها: كتاب "الدر المخلص من التقصي المخلص" جمع فيه أحاديث الكتابين المذكورين وشرحه بشرح عظيم الفوائد في أربع مجلدات سماه: "كشف المغطا في شرح مختصر الموطأ" وشرح مختصر التفريع لابن الجلاب النيلي سماه: "كفاية الطلاب في شرح مختصر الجلاب" وله: "نهاية الغاية في شرح الآيات" وأسئلة وأجوبة على آيات من القرآن. وله في العربية: "العدة في إعراب العمدة" عمدة الأحكام في الحديث أعربها إعراباً جامعاً لوجوه الإعراب واللغة والاشتقاقات وسلك فيه مسلكاً غريباً لم يسبق إلى مثله وهو آخر ما ألف وقرئ عليه مراراً وله كتاب "التيسير في علمي البناء والتغيير" في النحو وكتاب "المسالك الجلية في القواعد العربية" و"شفاء الفؤاد في إعراب بانة سعاد" وله "شرح قواعد الإعراب لابن هشام"، وغير ذلك من التقايد والتعليق المفيدة، وكتبه كلها في غاية الجودة والإتقان.

ولما حج آخر حجاته قال: هذه حجة الوداع... توفي رحمه الله يوم الجمعة عاشر ربيع الأخير سنة تسع وستين وسبعمائة (769هـ). مولده يوم الثلاثاء السادس من جمادى الأخيرة سنة ثلاث وتسعين وستمائة (693هـ)، رحمه الله تعالى وله ست وسبعون سنة.¹⁴

فهذا الابن الأكبر للشيخ أبي عبد الله محمد بن فرحون، قد أعلى الله به راية أهل السنة في المدينة المنورة، ونور الله بعلمه وعدله ربوعها، فازدهرت وابتهجت الحركة العلمية في زمنه، وذاع وشاع المذهب المالكي في حقته.

3. علي بن محمد ابن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون نور الدين أبو الحسن اليعمري التونسي المدني (ت746هـ)

هو أبو الحسن علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون نور الدين اليعمري التونسي الأصل المدني المولد والمنشأ مالكي المذهب، والد القاضي البرهان إبراهيم الماضي، ذكره ابنه في طبقات المالكية فقال: إنه ولد في ليلة الجمعة العشرين من ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة (698).¹⁵

هو الإمام الفقيه العالم بفنون العلم العارف بالحديث وأسماء رجاله المسند الرحال، قرأ القرآن على الشيخ أبي عبد الله القصري وعلى الشيخ إبراهيم المسروقي، وأخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب منهم والده والشيخ أبي عبد الله بن حريث خطيب تلمسان، وعز الدين الرندي وابن جابر الوادي والسراج الدمنهوري وابن عبد الرفيق وابن قداح والحافظان المزني والذهبي وغيرهم ممن يكثر تعدادهم، وعنه جماعة منهم ابنه برهان الدين إبراهيم وأبو العباس القباب.

وكان رحمه الله محدثاً متقناً ضابطاً عارفاً بضبط الحديث وأسماء رجاله ولغته، فاضلاً في الفقه والأصليين والعربية والمعاني والبيان مستبحراً في اللغة والأدب مشاكاً في الجدل والمنطق، واشتغل في آخر عمره بالنظر في كتب التصوف، ولزم الاشتغال بالفقه والعربية في المسجد النبوي.

وكانت له وجاهة عظيمة عند أمراء المدينة، وكان مقصداً للشفاعات إليهم فلا ترد له شفاعاة في غالب الأمر.

فلم يكن في زمانه بالمدينة والحجاز من برع براعته ولا ساد سيادته، فشهادة حق علمها كل الخلق ممن جل ودق، كان يلقي درس الفقه في مختصر ابن الحاجب فيحضره الشيخان الحاحائي وعبد السلام بن غلاب، وهما من الفقه بمكان لم يلحقهما في علمهما وعملهما مثلهما... وكان السراج الدمنهوري يقول للطلبة: إذا حضر الفقيه زين الدين فأحضروا معكم الدواة والورق حتى تفيدوا من فوائده ومن أشعاره واستشهاداته.

وكان له ميعاد وعظ بقراءة في كل جمعة بعد الصلاة على كرسي عال بالروضة بصوت حسن وأداء حسن بحيث لا يمل السامع من قراءته بل يتلذذ بإطالته ووعظه من كلام ابن الجوزي في التبصرة.

وله تأليف وتقايد حسنة مفيدة منها: حواشي على شرح ابن الحاجب لابن عبد السلام تكلم فيها على ما لم يتكلم عليه الشارح من المتن مع تعقب على الشارح في أماكن كثيرة انتهى فيه إلى الحج، وله في العربية تفانيد مختصرة وشعر كثير في غاية الجودة، ونزهة النظر ونخبة الفكر في شرح لامية العجم، وذيلها له اشتمل على لغة كثيرة وصناعة بديعة، والشرح المغني لقصيدة عمرو الجني وهي مشتملة على مدح النبي صلى الله عليه وسلم، والجواب الهادي عن أسئلة الشيخ أبي هادي.

توفي رحمه الله يوم الجمعة الثالث والعشرين من جمادى الآخرة سنة ست وأربعين وسبعمائة (ت746هـ) رحمه الله تعالى.¹⁶

4. محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون أبو عبد الله، الملقب بحب الدين اليعمري المغربي ثم المدني (ت791هـ)

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون أبو عبد الله، محب الدين بن بدر الدين اليعمري المغربي ثم المدني المالكي، أخو الشهاب أحمد ووالد أبي البركات وعبد الله.

كانت له عناية بالعلم، فسمع على أبيه وابن السبع البخاري، وولي قضاء المالكية بالمدينة بعد موت أبيه ولم يجاوز الخمسين.

وكان ذا عناية بالمذهب وغيره وتحصيل لطف من الفقه، فدام سنينا كثيرة في القضاء، وعزل غير مرة، توجه في آخرها إلى القاهرة ليعود، فمات شهيدا مطعونا سنة إحدى وتسعين وسبعمائة (ت791هـ) ودفن بمقبرة الصوفية خارج باب النصر.¹⁷

5. أحمد بن عبد الله بن فرحون المدني المالكي (792هـ)

هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون الشهاب أبو العباس بن البدر أبي محمد بن أبي عبد الله اليعمري المدني المالكي، عم الشيخ عبد الله وأخيه أبي البركات محمد بن محمد بن عبد الله، ويعرف كسلفه بابن فرحون، مشهور بكنيته أبي العباس.

سمع على أبيه في سنة سبع وستين وسبعمائة (767هـ) الأنباء المبنية لابن عساكر، وكان متبصراً بالفقه وله بغيره عناية، ووصف بالفقيه العالم العامل الفاضل الجليل، كما وصف بقاضي المدينة.

ولي قضاء المدينة بعد أخيه المحب أبي عبد الله وهو بمصر، وقدم المدينة فباشره إلى أن مات في ثاني عشر رمضان سنة اثنتين وتسعين (792هـ) ودفن بالبقيع.¹⁸

6. إبراهيم بن علي بن فرحون أبو إسحاق اليعمري المدني (ت799هـ).

هو إبراهيم بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري الأيدي ثم الجباني الأصل المدني المولد، العلامة القاضي البرهاني أبو الوفاء ابن الإمام المحدث نور الدين بن أبي الحسن اليعمري المدني المالكي، ولد بعد الثلاثين وسبعمائة ييسير (730هـ) بالمدينة النبوية ونشأ بها.

كان من صدور المدرسين ومن أهل التحقيق، جامعاً للفضائل، فريد وقته، يعرف ببرهان الدين، من أهل بيت علم أبوه وعمه وجده.

نشأ في الاشتغال بالعلم، فتدرب بعمه أبي محمد بن فرحون عالماً بالفقه والنحو والأصول والفرائض والوثائق وعلم القضاء وعالماً بالرجال وطبقاتهم، مشاركاً في الأسانيد، واسع العلم فصيح القلم ذا بيان، كريم الأخلاق حلو المنظر، بعيداً من التصنع والرياء، من أرق أهل زمانه طبعاً وألطفهم عبارة، كثير الأوراد والتلاوة.

سمع الحديث على والده وعمه، والشيخ أبي عبد الله المطري الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود وابن ماجه وغيرها، والشرف الأهبوطي قاضي المدينة وخطيبها الموطأ والبخاري وجامع الأصول والملخص وتأليف الطرطوشي، والشرف الأسواني الشفاء وصحيح مسلم ودلائل النبوة، والبدري الأقبشيري والجمال الدمنهوري وابن جابر الهراوي والشيخ محمد بن عرفة نزيل الحرمين، واجتمع أيضا بولده العلامة محمد بن محمد بن عرفة في حجة سنة اثنتين وتسعين، فأجاز له جميع مسموعاته ومروياته وتصانيفه، وأجاز له أيضا جميع من تقدم ما يجوز لهم وعندهم.

وصفه الشيخ الفقيه الجليل النبيل الفاضل الكامل المجيد المفيد بأنه: ممن استفاد فأفاد وبلغ من العلم المراد ... وتفقه وبرع في مذهبه وجمع وصنف وحدث، وسمع منه الفضلاء، ومن أخذ عنه أبو الفتح المراغي قرأ عليه الموطأ رواية يحيى بن يحيى والشفاء وسمع عليه غيرها كتاريخ المدينة للجمال المطري وبعض إتحاف الزائر لابن عساكر سمع عليه المحب الطبري.

تولى القضاء بالمدينة في ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين فسار فيها سيرة حسنة، ولم تأخذه في الله لومة لائم، وأظهر مذهب مالك بما بعد خموله، فهابته الرعية وانتصف من الظالم، ثم حصل له فالج في شقه الأيسر فأبطل حركته ثم مات.

ومن تأليفه شرح مختصر ابن الحاجب سماه "تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات" كتاب مفيد غاية، جمع فيه كلام ابن عبد السلام وابن راشد وابن هارون وخليل وغيرهم من الشراح، مع التنبيه على مواضع من كلامهم وزوائد من غيرهم مما لا غنى عنه، في ثمانية أسفار، و"تبصرة الأحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام"، لم يسبق مثله، وفيها من الفوائد ما لا يخفى و"الديباج المذهب في أعيان المذهب" فيه نيف وثلاثون وستمائة نفس، جمعه من نحو عشرين كتابا، و"درر الغواص في محاضرة الخواص"، و"كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب" مقدمة من عرفها سهل عليه مشكلات الكتاب و"إرشاد السالك إلى أفعال المناسك" فيه تنبيهات عزيزة و"المنتخب في مفردات ابن البيطار" في الطب في الأدوية المفردة، ومما لا يكمل "بروق الأنوار" في سماع الدعوى، واختصار تنقيح القرافي سماه "إقليد الأصول" وصل الى الناسخ، وكتاب في الحسبة، وتأليفه في غاية الإفادة لاتساع علمه.

عاش لم يملك داراً ولا نخلاً، إنما يسكن بالكراء ويأكل بالسلف والدَّين مع كثرة عياله، مات عن دين كثير عليه توفي عاشر ذي الحجة في يوم عيد الأضحى سنة تسع وتسعين وسبعمائة (799هـ) وقد قارب السبعين، وتم دفنه بالبقيع رحمه الله.¹⁹

7. محمد بن محمد بن عبد الله ابن فرحون أبو البركات (ت822هـ)

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد بن فرحون ناصر الدين أبو البركات اليعمري المالكي، ولقبه بعضهم محب الدين، بن المحب أبي عبد الله بن البدر أبي محمد اليعمري المدني قاضيها المالكي ويعرف كسلفه بابن فرحون.

ولد بالمدينة ونشأ بها وسمع على أهلها ومنهم الزين المراغي، وأجاز له في سنة أربع وسبعين فما بعدها الصلاح بن أبي عمر وابن أميلة وابن الهبل ومحمد بن الحسن بن عمار والأذرعى وآخرون.

ولي قضاء المدينة بعد قريبه القاضي أبي اليمن محمد بن البرهان بن فرحون، وكان عالماً فاضلاً بشوشاً حسن المحاضرة أجاز للتقي بن فهد وولديه وكذا لأبي الفرج المراغي حين عرض عليه.

مات في المحرم سنة اثنتين وعشرين (ت822هـ) بالمدينة ودفن بالبقيع.²⁰

8. عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون (ت859هـ)

هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون البدر أبو محمد بن المحب أبي عبد الله بن البدر اليعمري المدني المالكي القاضي، ولد في ربيع الأول سنة سبع وسبعين وسبعمائة (777هـ) بالمدينة النبوية ونشأ بها.

حفظ القرآن وكتبا، واشتغل على قريبه البرهان إبراهيم بن علي صاحب الطبقات وغيره، وسمع من الزين أبي بكر المراغي وغيره، وكذا من العلم سليمان السقا نسخة أبي مسهر وما معها، ثم سمع بأخرة على أبي الفتح بن شيخه المراغي، وأجاز له الحلاوي والسويداوي وابن خلدون والمجد إسماعيل الحنفي والبلقيني وابن الملتن والعراقي والهيثمي وآخرون.

ولي قضاء المدينة بعد أخيه ناصر الدين أبي البركات في سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة (822هـ)، ثم عزل في أواخر سنة ست وخمسين (856هـ) ثم أعيد في أوائل سنة سبع وخمسين (857هـ).

استمر على قضاؤه حتى مات في ذي الحجة سنة تسع وخمسين (859هـ) بالمدينة ودفن بالبقيع.²¹

قال السخاوي: "يعرف كأسلافه بابن فرحون من بيت رياسة وقضاء وعلم... كان فاضلا خيرا ساكنا بهيا."²²

الخلاصة:

إن المتأمل في تراجم أسرة "آل بن فرحون"، بداية من الشيخ محمد بن فرحون أبو عبد الله (ت721)، الذي يعد مؤسس هذه الأسرة في المدينة المنورة، إلى أولاده وانتقالا إلى أحفاده وأبناء أحفاده، يلحظ الأثر البارز الذي ساهمت به هذه الأسرة في ازدهار الحياة العلمية في بلاد الحجاز عموما، وفي المدينة المنورة خصوصا، وذلك لما حظيت به هذه الأسرة من مكانة علمية واجتماعية ووظيفية.

فمساهمة هذه الأسرة كانت مساهمة فعالة في مجالات شتى، فنجد أن فيهم من اشتغل بالتدريس في حلقات العلم، فأفاد الناس عموما وطلاب العلم خصوصا بعلمه في العلوم المتنوعة؛ ومنهم من ولي القضاء فأقام العدل وأصلح المجتمع.

والمساهمة الخاصة التي أسهمت بها هذه الأسرة، أن انتشر المذهب المالكي في بلاد الحجاز عموما وفي المدينة المنورة خصوصا، يرجع الفضل فيه بعد الله سبحانه وتعالى إلى هذه الأسرة الطيبي أصلها، فجزاهم الله عنا وعن الأمة الإسلامية خير الجزاء.

الخاتمة:

بعد التطرق إلى تراجم أبرز علماء أسرة "آل بن فرحون"، وبيان مدى إسهامهم في الحركة العلمية في المدينة المنورة، نورد أهم النتائج والتوصيات المتوصل إليها.

أولاً: النتائج

1. أسهم "آل بن فرحون" في إضعاف نفوذ المذهب الإمامي الاثنا عشري من مذاهب الشيعة، ما يقابله من نشر للمذهب المالكي، بالإضافة إلى تولي وظائف دينية بدلا منهم بعد أن أثبتوا مكانتهم العلمية والاجتماعية، وخاصة في الخطابة والإمامة والقضاء والحسبة.

2. أسهموا مساهمة فعالة في إثراء الحركة العلمية، وفي ازدهار حركة التأليف، ما جعل المدينة المنورة مركزا علميا يستقطب وفودا غفيرة من طلبة العلم.

ثانياً: التوصيات

1. الإهتمام بتراجم علماء مالكية المغرب الإسلامي، من خلال جعلها كمقياس يدرس في الجامعة.

2. الإهتمام بتراث علمائنا، تحقيقا وتدريسا، فما لم يصلنا أكثر مما وصلنا.

3. التكثيف من هكذا ملتقيات التي تزيح الغبار عما غمر من تراثنا وعلمائنا الأجلاء رحمهم الله.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط2002/15م.

2. إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تح: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ط2/1406هـ.

3. تاريخ المدينة المنورة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون المالكي (ت: 769هـ)، تح، حسين محمد علي شكري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان.

4. التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: 902هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1414/1هـ.

5. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: 852هـ)، تح: محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد/ الهند، ط2/1392هـ.

6. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد ابن فرحون (المتوفى: 799هـ)، تح: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.

7. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: 1360هـ)، تع: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1424/1هـ.

8. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: 902هـ)، دار مكتبة الحياة - بيروت.

9. لب اللباب في تحرير الأنساب، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، دار صادر - بيروت.

10. اللباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: 630هـ)، دار صادر - بيروت.

11. المدينة المنورة في العصر المملوكي، عبد الرحمن مديرس المديرس، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط1/1422هـ.

12. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد التكروري التنبكي (المتوفى: 1036 هـ)، تق: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس - ليبيا، ط2/2000م.

الهوامش:

- 1 السخاوي، الضوء اللامع، (55/5).
- 2 ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، (414/3)؛ والسيوطي، لب اللباب في تحرير الأنساب، (284).
- 3 ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، (414/3).
- 4 أنظر: عبد الرحمن المديرس، المدينة المنورة في عصر المملوكي، (168)، (267).
- 5 الأبدى: بضم الهمة وتشديد الباء الموحدة، وبعدها دال مهملة، نسبة إلى بلدة الأندلس من كورة جيّان.
- 6 اليعمرى: نسبة إلى يعمر (بفتح الياء المثناة من تحت، والعين المهملة الساكنة، والميم المفتوحة، والراء المهملة بلا شك) وهو الأصح، وهو: يعمر بن مالك بن بختة بن حرب بن وهب بن جئى بن أحس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.
- 7 ابن فرحون عبد الله، تاريخ المدينة، (243).
- 8 أنظر: السخاوي، التحفة اللطيفة، (562/2).
- 9 تعد من أبرز المدارس التي قامت بالمدينة التي أنشأها الملك المظفر شهاب الدين غازي، حيث أوقفها على المذاهب الأربعة، وذلك في النصف الأول من القرن السابع الهجري. أنظر: عبد الرحمن المديرس، المدينة المنورة في عصر المملوكي، (250).
- 10 أنظر: ابن فرحون عبد الله، تاريخ المدينة، (244/243).
- 11 أنظر: السخاوي، التحفة اللطيفة، (564/2).
- 12 أنظر: ابن فرحون عبد الله، تاريخ المدينة، (248).
- 13 أنظر: ابن فرحون إبراهيم، الديباج المذهب، (454/1)؛ وابن حجر، الدرر الكامنة، (84/3)؛ الزركلي، الأعلام، (126/4).
- 14 أنظر: ابن فرحون إبراهيم، الديباج المذهب، (454-459/1)، وابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية، (291/2-292).
- 15 أنظر: ابن فرحون إبراهيم، الديباج المذهب، (126-124/2)، وابن حجر، الدرر الكامنة، (137/4)، والسخاوي، التحفة اللطيفة، (295/2)، وابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية، (291/1).
- 16 أنظر: ابن فرحون عبد الله، تاريخ المدينة، (250-248)، ابن فرحون إبراهيم، الديباج المذهب، (126-124/2)، وابن حجر، الدرر الكامنة، (137/4)، وابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية، (291/1).
- 17 أنظر: السخاوي، التحفة اللطيفة، (502/2)، وابن حجر، إنباء الغمر، (375/2).

- ¹⁸ أنظر: السخاوي، التحفة اللطيفة، (117/1)، وابن حجر، إنباء الغمر، (37/3).
- ¹⁹ أنظر: ابن حجر، إنباء الغمر، (338/3)، السخاوي، التحفة اللطيفة، (82-81/1)، التنبكتي، نيل الابتهاج، (35-33).
- ²⁰ السخاوي، الضوء اللامع، (127/9).
- ²¹ أنظر: السخاوي، التحفة اللطيفة، (81/2).
- ²² السخاوي، الضوء اللامع، (55/5).

